

أضواء البيان

@ 508 @ هذه السورة الكريمة . .

وقوله : { وَيَأْتِيَنَّكَ فَرْدًا } أي منفرداً لا مال له ولا ولد ولا خدم ولا غير ذلك ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَنَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } ، وقال تعالى : { وَكُلُّهُمْ أَتَرِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } كما تقدم إيضاحه . .

فإن قيل : كيف عبر جل وعلا في هذه الآية الكريمة بحرف التنفيس الدال على الاستقبال في قوله { لَنَذَحْنُ أَعْلَامُ بِالَّذِينَ } مع أن ما يقوله الكافر يكتب بلا تأخير . بدليل قوله تعالى : { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } ؟ . فالجواب أن الزمخشري في كشفه تعرض للجواب عن هذا السؤال بما فسه : قلت فيه وجهان : أحدهما : سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله ، على طريقة قول زائد بن صعصعة الفقعسي : على طريقة قول زائد بن صعصعة الفقعسي : % (إذ ما انتسبنا لم تلدني لئيمة % ولم تجدي من أن تقري بها بدا) % .

أي تبين وعلم بالانتساب أنني لست بابن لئيمة . والثاني أن المتوعد يقول للجاني : سوف أنتقم منك . يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تناول به الزمان واستأخر ، فجردها هنا لمعنى الوعيد اله منه بلفظه . إلا أنا زدنا اسم قائل البيت وتكلمته . .

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة : من أنه يكتب ما يقول هذا الكافر ذكر نحوه في مواضع متعددة من كتابه ، كقوله تعالى : { قُلِ اللَّامَةُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ } ، وقوله تعالى : { أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ } ، وقوله تعالى : { هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّ كُذَّابًا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ، وقوله تعالى : { سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمْ الْأَشْقَاءَ بَغْيٍ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } ، وقوله تعالى : { كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّبِّ وَالْإِنِّ عَلَىٰ كُفْرٍ لَّحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } وقوله تعالى : { وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا } . وقوله تعالى :

{ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْ شُورًا اقْرَأْ
كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } : إلى غير ذلك من الآيات .